

ندو ثقافة قضائية ٢٠



أحد إصدارات مجلة

المعدل

آداب الخصومة شرعاً ونظاماً

جمع وإعداد

محمد بن إبراهيم الصائغ

قاضي المحكمة العامة بمحافظة تيماء

ربيع الآخر ١٤٣٠هـ

الطبعة الثانية



آداب الخصومة شرعاً ونظاماً

جمع وإعداد

محمد بن إبراهيم الصائغ

القاضي بالمحكمة العامة بمحافظة تيماء

ربيع أول ١٤٣٠ هـ

٢٥٧٠
(ح) وزارة العدل ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصائغ ، محمد بن إبراهيم
آداب الخصومة شرعا ونظاما . / محمد بن إبراهيم الصائغ .
الرياض ، ١٤٣٠هـ
٠٠ ص ؛ ٠٠ سم . (سلسلة نحو ثقافة قضائية ؛ ٢)
ردمك : ٤ - ٢٢ - ٦٠٦ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١- القضاء في الإسلام أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي ٢٥٧,٥ ١٤٣٠/١٦١٢

رقم الإيداع: ١٤٣٠ / ١٦١٢
ردمك : ٤ - ٢٢ - ٦٠٦ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين
والعاقبة للمتقين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
أشرف الخلق وسيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله عز وجل خلق الخلق وجعلهم متباينين في
أجناسهم وصفاتهم وألوانهم وآرائهم وتوجهاتهم بلاءً منه
لهم، قال سبحانه ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا
يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾
ومن الخلاف حصول الخصومة بين الناس على أي أمر
كان في الأموال أو الأحوال الشخصية أو القضايا الجنائية،
وهذا أمر طبعي، وأثر متوقع لاجتماع الناس بعضهم، ببعض
وتعاملهم فيما بينهم ببيع وشراء ونكاح، وغير ذلك.

(١) سورة هود، آية: ١١٨-١١٩.

من هنا جاء الإصدار الثاني من سلسلة
نحو ثقافة قضائية ليلقي الضوء على الآداب الواجبة
والمستحبة عند الخصومة سواء في مجلس الحكم أو
قبله أو بعده، وهي في جملتها آداب عامة ينبغي على كل
مسلم أن يتحلى بها في أوقاته كلها.

أسأل الله أن يرزقنا الفقه في دينه والإخلاص في
القول والعمل.



أولاً: المقصود بالخصومة:

تأتي الخصومة بمعنى المجادلة والمنازعة، وقد عرفها فضيلة الشيخ عبد الله بن خنين - حفظه الله - بقوله: (مدافعة بين اثنين بتنازع حق لدى قاض) (٢).

ويمكن أن نقول: إن الخصومة هي الموقف الذي ينشأ بين طرفين أو أكثر عند حصول خلاف على أمر حقوقي أو جنائي أو غير ذلك، ويتم رفعه للحاكم (القاضي) للفصل فيه.

إذاً فهذا الإصدار يتناول الآداب المهمة عند الخصام والخلاف في قضية ما، ويتم الترافع فيها عند الحاكم ليفك النزاع ويفصل في القضية.

ثانياً: آداب الخصومة:

١/ ترك الفجور:

ذلك لأن الفجور في الخصومة من علامات النفاق وصفاتهم التي ينبغي البعد عنها، فعن عبد الله بن

(٢) انظر مجلة العدل عدد ١٥ بحث للشيخ عبد الله بن خنين بعنوان الوكالة على الخصومة.

عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» (٢).

ومعنى الفجور في الخصومة: أي يعمل على أن يجعل الباطل حقاً والحق باطلاً، ويخرج عن الحق عمداً، وهذا يوجب سخط الله ومقتته، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه» (٤).

٢/ احترام مجلس الحكم:

ومجلس الحكم هو مجلس القضاء الشرعي الذي يفصل فيه بين المتنازعين، ويحكم فيه بين المتخاصمين، ولا بد من احترامه وتقديره، لأن ذلك من احترام وتقدير القاضي، وإعانة له على حسن الاستماع للخصمين، وتوفير

(٢) متفق عليه.

(٤) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني.

للجو المناسب للنظر في الدعوى وتمحيص البيّنات.

قال الإمام الماوردي - رحمه الله -: «يحذر الخصم من السب أو الشتم أو التجريح لخصمه أو للقاضي، بل يكون كلامه بلطف، وأدب ومنبىء عن المقصود، وأن يكون متجنباً معارضة القاضي أو الخصم أثناء حديثهما أو رفع الصوت في مجلس القضاء لأن فيه انتهاكاً لحرية مجلس القضاء»^(٥).

ولمن بدر منه شيء مما ذكر عقوبة كفلها النظام للقاضي، فقد جاء في نص المادة التاسعة والستين من نظام المرافعات الشرعية (ضبط الجلسة وإدارتها منوطان برئيسها، وله في سبيل ذلك أن يُخرج من قاعة الجلسة من يخل بنظامها، فإن لم يمتثل كان للمحكمة أن تحكم على الفور بحبسه مدة لا تزيد على أربع وعشرين ساعة، ويكون حكمها نهائياً، وللمحكمة أن ترجع عن ذلك الحكم . ١٠ هـ).

(٥) نقلاً من كتاب الآداب الشرعية للمخاصمة، البراك، ص ٢٧.

٣/ الصدق في القول وتجنب الكذب:

وهذا امتداد لما يجب أن يكون عليه كل مسلم، ويتأكد ذلك في مجلس القضاء، وهو من أهم الآداب التي ينبغي للمتخاصمين أن يتحلوا بها، فالصدق من صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿يَكْفُرُ بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩) والكذب من صفات المنافقين كما في الحديث: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها وإذا أُوْتِمن خان وإذا حدث كذب ...» (٧).

وجاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى

(٦) سورة التوبة، آية: ١١٩ .

(٧) سبق تخريجه ص ٨.

النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٨) .

قال الماوردي - رحمه الله-: «والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم، لسوء عواقبه وخبث نتائجه، لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة وليس مع العداوة أمن ولا راحة ولذلك قيل: «من قلَّ صدقه قلَّ صديقه»^(٩) .

وكثيراً ما ينكشف الكاذب أمام القاضي، ويخسر بذلك دنياه وأخراه، وصدق من قال: (الصدق منجاة والكذب مهواة) .

٤/ تجنب الغضب وأسبابه:

ذلك لأن الغضب يخرج الإنسان عن حالته الطبيعية، وكثيراً ما تحولت بعض القضايا الحقوقية إلى جنائية بسبب الغضب المذموم، الذي يخرج الإنسان عن طوره، فيقذف خصمه أو الشهود بالباطل، ويتكلم بالسوء وربما اعتدى باليد أو السلاح، جاء في

(٨) متفق عليه.

(٩) أدب الدنيا والدين، ص ٢٦٢.

الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال: «لا تغضب فردد مراراً قال: لا تغضب»^(١٠).

وجاء في حديث آخر عن سليمان بن صرد -رضي الله عنه- قال: استب رجلان عند النبي ﷺ فقال: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»^(١١).

فانظر أخي الكريم كيف وصل الغضب بهذا إلى أن يسب أحداً أمام خير المرسلين وسيد الخلق أجمعين. ولذلك جاء في حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم فليست»^(١٢).

٥/ احترام المواعيد:

من أهم آداب المخاصمة الاهتمام بمواعيد الجلسات المحددة من قبل المحكمة وعدم التخلف عنها إلا بعذر

(١٠) رواه البخاري.

(١١) متفق عليه.

(١٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

مقبول، لأن التخلّف المتعمد عن الموعد من شأنه الإضرار بالخصم الآخر، وهذا لا يجوز وتأخير للبت في القضية وتعطيل لها، بل إنه يعد من الفجور في الخصومة.

من هنا نصّ الفقهاء على جواز الحكم على (المدعى عليه) الغائب المستتر في البلد، وكذلك نص نظام المرافعات الشرعية عليه كما في المادة الخامسة والخمسين وفيها «فإن غاب المدعى عليه عن هذه الجلسة أو غاب عن جلسة أخرى دون عذر تقبله المحكمة فتحكم المحكمة في القضية» ... وكذلك إذا غاب المدعي عن الجلسة فإن القضية تشطب، كما نصت اللائحة التنفيذية في المادة الثانية للمادة الثالثة والخمسين وفيها «تشطب (تلغى) الدعوى لغياب المدعي بعد انتهاء المدة المحددة للجلسة».

من هنا يجب على كلا الخصمين احترام الوقت والمواعيد والحضور المبكر وعدم قصد الإضرار بالآخر، ومما يؤسف له أن بعض الناس يفتخر بتعطيل القضايا

بتخلفه عن المواعيد بقصد الإضرار بخصمه خصوصاً
إن كان خصمه يحضر من بلد آخر أو مكان بعيد.

٦/ الحذر من اليمين الغموس:

اليمين الغموس هي اليمين الكاذبة التي تغمس صاحبها في النار، فبعض ضعاف النفوس يلجأون للحلف كذباً وزوراً وبهتاناً لأكل أموال الناس وإضاعة حقوقهم أو للتخلص من عقوبة قد تفرض عليه. قال ﷺ: «من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان» قال عبد الله: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(١٣) إلى آخر الآية^(١٤).

وحيث يكثر في المحاكم أداء اليمين وطلبها يجدر التنبيه على عدة أمور هي:

(١٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧

(١٤) متفق عليه من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -.

١ / أن اليمين لا تؤدي إلا بعد طلبها من أحد الخصمين أو توجهها بأن تكون هي الفاصلة في القضية وأذن القاضي بأدائها ^(١٥) .

٢ / ترك اللجاج في اليمين ويقصد به التماادي في أداء اليمين والإكثار منه ولو تبين خطأه، وقد حذر من ذلك النبي ﷺ حيث قال: «إذا استلج أحدكم في اليمين فإنه إثم له عند الله من الكفارة التي أمر بها» ^(١٦) .

٣ / اليمين على نية المستحلف وليس الحالف. فإذا طلب أحد الخصمين من الآخر الحلف لم يكن للحالف أن يحلف على شيء آخر تعريضاً وتورية بأن يحلف على شيء ويبيت نيته على قصد شيء آخر، ولذا فإن الحلف على نية المحلوف له كما قال ﷺ: «اليمين على نية المستحلف» ^(١٧) ولهذا فلا تنفع التورية أو التعريض

(١٥) انظر: الفصل الثالث من الباب التاسع من نظام المرافعات الشرعية من المادة ١٠٧-١١١.

(١٦) أخرجه بنحوه الإمام البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وهذا لفظ ابن ماجه، وصححه الألباني.

(١٧) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

في الحلف مثل أن يطلب من الخصم الحلف على أنه لم يأخذ المبلغ المدعى به فيحلف وفي نيته مبلغ آخر فهذا لا يفيد ولا ينفعه وهو كذب .

٤/ ينبغي للمحلف له أن يصدق الحالف ويرضى بحلفه. قال ﷺ: «من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله» (١٨).

٥/ ترك الجدل والمراء: وللأسف الشديد فإن دأب الكثير من الخصوم في مطالباتهم وخصوماتهم الإكثار من الجدل والصراخ في مجلس الحكم دون قصد الوصول إلى الحق وإنما لإضاعته. ولا يخفى أن الجدل والمراء بغير حق يوغر الصدور ويذكي البغضاء ويزيد من الشحناء، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «أنا زعيم ببیت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً» (١٩).

(١٨) أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر - رضي الله عنها - وصححه الألباني.

(١٩) أخرجه أبو داود من حديث أبي أمامة الباهلي وحسنه الألباني.

٧/ الحذر من المماطلة:

في بعض الأحيان وحين تحتد الخصومة وتبدأ القضية بالتوجه لصالح أحد المتقاضين وظهور الحق له يلجأ الآخر إلى المماطلة والتطويل في الإجراءات لتأخير البت في القضية، فيستغل ما يعتبر ثغرات في الأنظمة والتعليمات للإضرار بخصمه وتأجيل البت في القضية بدون وجه حق.

وهنا أدعوك أخي القارئ لتأمل هذه القصة العجيبة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان لرجل على رسول الله ﷺ سن (أي دابة ذات سن وعمر من الإبل)، فجاء يتقاضاه وأنه أغلظ له في القول حتى هم به بعض القوم، فقال ﷺ: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، ثم قال: اعطوه، فطلبوا سنه، فلم يجدوا إلا سناً فوقها، فقال ﷺ: اعطوه، فقال الرجل أوفيتني أوفاك الله تعالى» فقال ﷺ: «إن خيركم أحسنكم قضاء» (٢٠)

(٢٠) رواه البخاري ومسلم.

كما جاء في نظام المرافعات الشرعية في المادة الحادية والخمسين ما نصه: (إذا ظهر للمحكمة من أحد الوكلاء (عن شخص آخر) كثرة الاستمهالات (طلب المهلة) بحجة سؤال موكله بقصد المماطلة فلها حق طلب الموكل (صاحب القضية الأصلي) بالذات لإتمام المرافعة ا.هـ). وجاء في لائحته التنفيذية (الأولى إذا ظهر للقاضي ناظر القضية كثرة الاستمهال من الوكيل بقصد المماطلة فللقاضي منعه من الاستمرار في الدعوى المقامة لديه ليتولاها الموكل بنفسه أو يوكل آخر ا.هـ). وهذا منتهى العدل والإنصاف لقفل باب المماطلة وسد نافذته على ضعاف النفوس الذين لا يبالون بالحقوق ولا يؤدونها لمستحقيها.

٨/ حسن اللباس والمظهر:

من الآداب العامة المهمة الاهتمام بحسن اللباس والمظهر والتنظف، فلا يحضر إلى المحكمة بلباس لا يليق كأن يكون اللباس متسخاً أو تظهر منه رائحة

كريهة تؤذي المراجعين وتؤثر على القاضي، بل تجعله لا يستطيع السير في القضية، فبعض الخصوم لجهله وقلة بصيرته وعدم وجود من يوجهه يأتي إلى المحكمة ورائحته كريهة للغاية فلا يتنظف وبهذا يسبب أذية للمحكمة والمراجعين .

٩/ حسن الكلام والمنطق:

لأن حسن الكلام والمنطق دلالة على راحة العقل وقوة في الحق، وحين لا توجد هذه الصفات بأصحاب قضية فقد شرعت الوكالة لأن من الناس من لا يحسن الكلام وإبداء الحجة والرد على الدعوى، والكلام السيء والبذيء له تأثيره الكبير في سير القضية والدعوى، والله سبحانه وتعالى أمر عباده بأن يلتزموا بالقول الحسن، قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(٢١). قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - «ومن آداب الإنسان الذي أدب الله به عباده أن يكون الإنسان نزيهاً

(٢١) سورة البقرة، آية: ٨٣.

في أقواله وأفعاله غير فاحش ولا بذيء ولا شاتم ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملاً لكل أحد...» (٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٥٣) قال ابن كثير رحمه الله: «يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الحسن، والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر، والمخاصمة، والمقاتلة، فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، وعداوته ظاهرة بينة» (٢٤).

١٠/ ترك السخرية والاستهزاء:

فبعض الخصوم يلجأ إلى السخرية والاستهزاء

(٢٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٧-٥٨).

(٢٣) سورة الإسراء، آية: ٥٣.

(٢٤) تفسير ابن كثير ج ٢ / ١٧٢٤.

بخصمه، ووصفه بصفات قبيحة أو يعيره بفقره أو جهله أو لشيء في خلقته، فتخرج الدعوى عن أصلها، وربما تسبب في دعوى أخرى تقام عليه بسبب خطئه على خصمه واحتقاره، وهناك توجيه رباني عظيم ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١) فيجب أن يلتزم الخصوم بهذا الأمر الرباني والأدب الإلهي الكريم في الحياة العامة، فضلاً عن الالتزام به في مجلس القضاء.

١١ / احترام النظام والتعليمات:

من أهم ما ينبغي للخصوم التأدب به هو احترام نظام المحكمة وتعليماتها وعدم الإخلال بذلك، فلا بد من مراعاة وقت الجلسة والجلوس في المكان المخصص خارج مجلس الحكم أو داخل مجلس الحكم. كذلك احترام نظام الجلسة وعدم التكلم إلا بإذن من

(٢٥) سورة الحجرات، آية: ١١ .

القاضي، وغير ذلك من الأنظمة والتعليمات التي ينبغي الالتزام بها، لأن هذا الالتزام سيكون له الأثر في سير الدعاوى والقضايا دون تشويش أو إضاعة للوقت.

١٢ / البحث عن الحق والرضا به:

وهذا ما يجب على الخصم بأن يكون همه البحث عن الحق والرضا به فيبدي حجته ويحضر بيناته ويقدم ما لديه بين يدي القاضي، وبعد الحكم له أن يقتنع، أو لا يقتنع ويعترض حسب درجات التقاضي، وبعد أن يكتسب الحكم القطعية ويصبح واجب النفاذ عليه الرضا به والتسليم والتنفيذ، خصوصاً إذا كان الحق واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، والرجوع إلى الحق فضيلة.

١٣ / ترك البذاءة والفحش في الكلام:

قال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش ولا البذيء»^(٢٦).

(٢٦) رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة على شرط الشيخين.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

إذا سبني نذل تزايدت رفعه

وما العيب إلا أن أكون مسابيه

ولو لم تكن نفسي عليّ عزيزة

لمكنتها من كل نذل تحاربه

قال الأصمعي: «بلغني أن رجلاً قال لآخر: والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً. فقال الآخر: لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة» لذا فإنه ينبغي على الخصمين حفظ اللسان عن بعضهما وعدم السب أو الشتم أو التلطف بفاحش القول والترفع عن جميع ذلك.

١٤ / السماحة واللين:

مما يلاحظ على بعض الخصوم التشدد في خصومته وقفل باب الصلح تماماً وعدم التنازل لخصمه، وهذا مخالف للهدي النبوي الكريم الذي حثّ على السماحة في التعامل مع الآخرين. فعن عثمان بن عفان رضي

اللَّهُ عنه أن النبي ﷺ قال: «أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً، وبائعاً، وقاضياً، ومقتضياً» (٢٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» (٢٨).

وكذلك على الخصوم أخذ الأمور باللين والرفق، فهي أدعى لانتهاء الخصومة وانقضاء الدعوى دون بغضاء ولا شحناء.

١٥ / حسن الاستماع والإصغاء وترك المقاطعة:
وهذا الأدب من أهم آداب الخصومة، لأن عدم الالتزام به يسبب التشويش في مجلس الحكم، ويفقد القاضي تركيزه، فالقاضي لا يستطيع سماع الخصوم في وقت واحد، فالواجب الالتزام بحسن الاستماع وعدم المقاطعة ولا يتحدث إلا بإذن القاضي، وهذا أدعى لفهم القضية ولتمكين الجميع من إبداء الحجة والرد. وليتذكر الجميع أن الهدف من التقاضي الوصول إلى

(٢٧) رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٢٨) أخرجه البخاري.

الحق، وهذا لا يحصل إلا بتمكين الخصوم من الحديث المنظم والمرتب كل على حده دون تأثير أو مقاطعة.

١٦ / إمهال المدين والتجاوز عن المعسر:

فكثيراً ما يطلب المدين مهلة للسداد ويرفض صاحب الدين ويصر على أن يدفع المدين الدين في وقته، ويتشدد في ذلك وهو حق له لا أحد يلومه عليه، ولكن من نشد الكمال واتبع التوجيه النبوي الكريم في فضل إمهال المدين فالأولى به الاتباع. فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه» (٢٩).

كذلك من التوجهات الربانية العظيمة التجاوز عن المعسر قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - «وهذا

(٢٩) أخرجه مسلم.

(٣٠) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به» (٢١) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، قال فتجاوز الله عنه» (٢٢) وفي الحديث الآخر «... ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة...» (٢٣) .

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن نظام المرافعات الشرعية نظم دعاوى الإعسار في المواد ٢٣٠-٢٣١-٢٣٢ مما يغلق الباب على المتلاعبين ممن يدعون الإعسار وهم ليسوا بمعسرين، وهذا بعكس ما يعتقد الكثيرون من سهولة ويسر الحصول على صك الإعسار لمجرد طلبه، فالإجراءات كثيرة ومتنوعة ومتعددة الجهات .

١٧ / الدعاء:

وهو أدب عظيم وخلق كريم ينبغي التخلق به سواء

(٢١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٧ .

(٢٢) متفق عليه .

(٢٣) رواه مسلم .

قبل الخصومة أو بعدها فقبل الخصومة يسأل الله أن يظهر الحق وأن يعين القاضي وينير بصيرته ويسدد اجتهاده وبعد الخصومة والانتهاء من مجلس الحكم يدعو بكفارة المجلس كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» (٢٤).

١٨ / الستر وعدم إبداء السوءات:

في بعض القضايا الحساسة خصوصاً الزوجية وعند اشتداد الخصام قد يظهر أحد الزوجين عيوباً في الآخر لا ينبغي ذكرها ولم تطلب منه ولا تأثير فيها على القضية، ويسبب ذلك عدواناً وبغضاء وشناء وكشف لستر الله عليهما، فلا ينبغي أن تخرجنا الخصومة عن طورنا

(٢٤) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ونبدأ بالتجريح على بعضنا وإظهار العيوب التي سترها الله عز وجل. وكم نكبر ونجل بعض الخصوم الذين يترفعون عن ذلك رغم علمهم بأمور تسيء للخصم الآخر ولكنهم لا يذكرونها من باب السترو عملاً بحديث النبي ﷺ: «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» (٣٥) وقد تخرج بعض الجلسات عن طبيعتها وتصبح تعداداً للعيوب بين الخصوم التي يجهلها الكثير وهذا أمر يخالف الشرع وينافي الأخلاق الكريمة.

١٩ / الحذر من شهادة الزور:

لا يخفى على الجميع أن الشهادة من أقوى البينات لإثبات الحقوق، لذا قد يلجأ بعض الخصوم ممن قلت مخافتهم لله عز وجل فيحضر شهود زور يكذبون بين يدي القاضي متناسين وقوفهم بين يدي الله الذي لا تخفى عليه خافية .

وشهادة الزور من أكبر الكبائر جاء في الحديث عن

أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور. فما زال يقولها حتى لا يسكت»^(٢٦).

وليتذكر الخصوم أنه حين يحكم لأحدهم بشهادة زور يحضرها أن هذا لا يجعل ما حصل عليه حقاً له، بل سيحاسب عنه يوم القيامة، ولن يهنأ به في الدنيا، وسيجد مغبة فعلته عاجلاً، فبعضهم دخل للمحكمة حياً وبعد أن حكم له باطلاً خرج من المحكمة ميتاً، ويا لها من خاتمة أعاذنا وإياكم الله منها فالحذر الحذر من شهادة الزور.

قال الإمام الذهبي: شاهد الزور قد ارتكب عظام:

أحدها: الكذب والافتراء، والله تعالى يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(٢٧).

(٢٦) متفق عليه.

(٢٧) سورة غافر، آية: ٢٨.

وثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ما له وعرضه وروحه.

وثالثها: أنه ظلم الذي شهد له، بأن ساق إليه المال الحرام، فأخذه بشهادته ووجبت له النار^(٢٨).

٢٠ / سلامة الصدر:

كما سبق وأن ذكرنا أن الخلاف من سمات البشر وأمر طبعي ولا مناص عنه لكثرة التعاملات الواقعة بين الناس ولوجود الخلطة بين أصناف البشر والخصومة نتيجة متوقعة لذلك ولا مشكلة فيها إلا إذا تعدت عن حدودها وانقلبت إلى عدااء مستمر وخلاف دائم خلف أسوار المحاكم.

وسلامة الصدر من الأحقاد والشحناء خلق عظيم لا يقوى عليه سوى العظماء الأقوياء، وقد تمثل نبينا ﷺ هذا الخلق واقعاً ملموساً في سيرته العطرة، فبعد شدة الخصام بينه وبين قومه الذين ناصبوه العدااء واشتدوا

(٢٨) الكبائر ص ٦٤.

عليه بالأذى وعندما ظفر بهم وأصبحت السلطة بين يديه عفا وصفح، بل وأنفق عليهم وأعطاهم ليتألف قلوبهم.

فلنتمثل هذا الخلق ولنكن أحباباً في الله مهما حصل بيننا من خصومة فعدو الأمس قد يكون صديق اليوم. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠) (٣٩) فسلامة الصدر راحة في الدنيا وغنيمة في الآخرة.

٢١ / النصر أو الحجز عن الظلم:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: «تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره» (٤٠) فينبغي على كل مسلم أن يعين أخاه ويمنعه من ظلم نفسه وظلم الآخرين، وعلى الخصم ألا يتمادى في

(٣٩) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٤٠) رواه البخاري.

الخصومة فيلجأ خصمه إلى الظلم والعدوان والبهتان. وهذا واقع فقد تشتد الخصومة بين الطرفين ويقع الظلم بقصد الانتصار للنفس والسيطرة. والواجب هو التعاون في سبيل إظهار الحق ومنع الظلم.

٢٢ / العفو والصفح:

قال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ^(٤١) قيل هو الرضا بلا عتب. وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ^(٤٢) وقال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ^(٤٣).

وقال ﷺ: «وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً» ^(٤٤) وقيل: من عادة الكريم إذا قدر غفر، وإذا رأى زلة ستر.

٢٣ / ترك اللد في الخصومة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله

(٤١) سورة الحجر، آية: ٨٥.

(٤٢) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٤٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤٤) رواه مسلم.

صلى الله عليه وسلم: «إن أبغض الرجال إلى الله
الألدُّ الخصم»^(٤٥)

ومعنى الألد أي شديد الخصومة وهو من يخاصم
بالباطل ويجتهد في رفع الحق (نفيه وإزالته) وإثبات
الباطل. وهذا مما يوغر الصدور ويهيج الغضب ويورث
الحقد ويخرج المتخاصمين إلى تناول الأعراس، لذا
جاء هذا التشديد منعاً لهذه الإشكالية وحفاظاً على
سلامة الصدور والتواد بين أفراد المجتمع.



الخاتمة

الحمد لله على نعمه والشكر له على آلائه وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا
محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى
آله وأصحابه وبعد:

فلا أجد أفضل مما أختم به هذا الإصدار من هذا
الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا
تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد
الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا
يحقره، التقوى ها هنا» - ويشير إلى صدره ثلاث مرات
- «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل
المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»^(٤٦).

اللهم أصلح ذات بيننا ووفقنا لكل خير وصلى الله
وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فهرس المحتويات

٥	تمهيد
٧	أولاً: المقصود بالخصومة
٧	ثانياً: آداب الخصومة
٧	١ / ترك الفجور
٨	٢ / احترام مجلس الحكم
١٠	٣ / الصدق في القول وتجنب الكذب
١١	٤ / تجنب الغضب وأسبابه
١٢	٥ / احترام المواعيد
١٤	٦ / الحذر من اليمين الغموس
١٦	٧ / الحذر من المماطلة
١٨	٨ / حسن اللباس والمظهر
١٩	٩ / حسن الكلام والمنطق
٢٠	١٠ / ترك السخرية والاستهزاء

- ٢١ / ١١ احترام النظام والتعليمات
- ٢٢ / ١٢ البحث عن الحق والرضا به
- ٢٢ / ١٣ ترك البذاءة والفحش في الكلام
- ٢٣ / ١٤ السماحة واللين
- ٢٤ / ١٥ حسن الاستماع والإصغاء وترك المقاطعة
- ٢٥ / ١٦ إمهال المدين والتجاوز عن المعسر
- ٢٦ / ١٧ الدعاء
- ٢٧ / ١٨ الستروعدم إبداء السوءات
- ٢٨ / ١٩ الحذر من شهادة الزور
- ٣٠ / ٢٠ سلامة الصدر
- ٣١ / ٢١ النصرة أو الحجز عن الظلم
- ٣٢ / ٢٢ العفو والصفح
- ٣٢ / ٢٢ ترك اللدد في الخصومة
- ٣٤ الخاتمة

